خاتمة

لقد قدمت إحدى عشرة شخصية من القامات العالية التى التقيتها وكانت لي معها مواقف كثيرة.

ولكن.. لم تكن هذه الشخصيات فحسب هى التى حفرت فى ذاكرتي فهناك شخصيات أخرى ليست أقل من هؤلاء قيمة وتأثيراً.. ولكن مواقفي معها قليلة.. وربما مرت بي أو مررت بها سريعاً.

من هؤلاء مثلا: الأديب الكبير ثروت أباظة الذى عاصرته رئيسا لاتحاد الكتاب.. وكان يشرف على صفحة الإبداع فى الأهرام وهو الذى شجعني لنشر مسرحية (أخناتون) على أربع حلقات فى أربعة أسابيع في صفحته عام ١٩٨٧.

وهناك أيضا الأديب الكبير فاروق خورشيد الذى تميز فى دراسات الأدب الشعبي - خاصة السيرة - وكان أيضا رئيسا لاتحاد الكتاب وكنت سكرتيرا عاما للاتحاد.. ودائما كان ينادينى بالسندباد.. لأنه كلما سأل عني أكون مسافراً فى ندوة أو مؤتمر خارج أو داخل مصر.

وهناك الشاعر الظريف محمد مصطفى حمام الذى التقيته فى

الستينات فى دار القلم حيث كان يطبع بعض أشعاره.. فعرضت عليه أشعاري وكتب بخط يده شهادة لي.. وقد أصدرت له ديواناً مختاراً من شعره منذ عدة أعوام.

وكذلك فعل الشاعر محمود غنيم حينما التقيته أيضاً.. وعرضت عليه أشعاري.. وكتب بخط يده شهادته.

وهناك الناقد الدكتور عبد المنعم خفاجي وخفة ظله.. وقدرته على أن يكتب ويتحدث فى أي موضوع.. وله أكثر من ثلاثمائة كتاب.. وكان يؤكد أن الخفاجيين منتشرون فى بقاع الأرض كلها.

وهناك الشاعر (الحلمنتيشي) عبد السلام شهاب وكان يعمل مراجعا فى جريدة الأهرام.. وأذكر له قصيدة بعنوان سهرة مع إبليس جاء فيها:

جاءنى إبليس أمس

لابسا بدلة إنس

والكرافتة (سولكا)

هى من صنع الفرنس

ثم يحكى أن إبليس أغواه بمصاحبته إلى بار ليشربا مها فاعتذر لأنه لا يملك سيارة فيرد عليه إبليس.

ألف (فورد) و(بويك)

تحت أمرى فى الأجنس

ومعى (مرسيدس)

موديل ستين وسدس

ويتوجهان إلى البار ويشربان حتى السكر..ثم يصف الشاعر هذه الحالة بقوله:

لو ترى سبعا هصورا

لم تزد عن قول (بسِّ)

وهناك الأديب المترجم حسين القباني الذى قضي حياته جالساً على كرسي متحرك.. وكانت له ندوة أسبوعية فى أحد النوادي على النيل أطلقنا عليها (ندوة القباني).

وكان القباني تشجيعا للأدب والأدباء قد أعلن عن مسابقة سنوية لأفضل ديوان.. أو أفضل رواية.. للحصول على (كأس القباني) فتقدمت بديواني الأول (الطريق والقلب الحائر) وفاز بالكأس عام ١٩٦٨.. وأذكر أن الأديب الكبير محمود تيمور مع القباني قد سلماني هذه الجائزة.

أما نجيب محفوظ أديب نوبل العظيم.. فقد التقيته أكثر من مرة.. أذكر منها تلك الزيارة التى قادني ومعي عبد العال الحمامصي الأستاذ محمد سلماوى.. لمنح نجيب محفوظ الرئاسة الشرفية لاتحاد الكتاب.. وكانت هذه الزيارة قبل رحيله بنحو عام تقريباً.

وكان نجيب محفوظ قد ضعف بصره بشكل كبير.. وضعف سمعه أيضاً.. فلما دخلنا عليه.. سأل نجيب محفوظ الأستاذ سلماوى:

من معك يا محمد.

قال سلماوى:

معى الأستاذ عبد العال الحمامصي.. نائب رئيس الاتحاد.

فقال نجيب محفوظ على الفور:

آه.. أليس هذا الذى كتب (للكتاكيت أجنحة)

قال سلماوى:

نعم يا سيدي.

قال نجيب محفوظ:

ومن معك أيضا:

قال سلماوى:

معى أيضا الشاعر أحمد سويلم سكرتير عام الاتحاد

قال نجيب على الفور:

آه.. الذى كتب مسرحية (أخناتون).

قال سلماوى: نعم هو.

فى الحقيقة أصابتني الدهشة والعجب..

لقد كتب عبد العال الحمامصي مجموعته القصصية (للكتاكيت أجنحة) فى الستينيات من القرن الماضي.

ونشرت مسرحتي (أخناتون) فى أواخر الثمانينيات من القرن الماضي.. فكيف يتذكر نجيب محفوظ لكل منا عمله.

لابد أن نجيب محفوظ يعرف كل أديب بعمل أو أكثر..

obeikan.com

لكن العجيب يبدو فى هذا التألق فى ذاكرة هذا الأديب الكبير..

ملاحظة أخرى مهمة..

كان نجيب محفوظ يحرص على الحصول على معاش اتحاد الكتاب الضئيل وكان يقول:

هذا المعاش على ضآلته يشعرني بالفخر بأني من مؤسسي هذا الاتحاد..

ويذكر لهذا الأديب الكبير أن المجلس الأعلى للثقافة قد اعتاد على إقامة مؤتمر للرواية العربية... فلاحظ نجيب محفوظ أن الشعر ليس له نصيب فى مؤتمرات المجلس.. فأرسل بتوصية مهمة فى أحد المؤتمرات بإقامة مؤتمر للشعر مثل مؤتمر الرواية.

وبالفعل بدأ المجلس يقيم مؤتمراً للرواية وآخر للشعر بالتبادل.

هذا أديب مصر العالمي الذى أكد الإبداع العربي بحصوله على جائزة نوبل أرفع جائزة عالمية.

ومن الشخصيات التى التقيتها الفنان التشكيلي الكبير مصطفى حسين والذى برع فى فن الكاريكاتير وأصبحت له مدرسة وتلاميذ.

التقيته فى عام ١٩٨٢ حينما تحمس لرسم سلسلة للأطفال عن ألف ليلة وليلة تنشرها دار الشروق.. وبالفعل رسم خمس حكايات برسوم رائعة.. وكان مقاس الكتاب (٢٥×٥٠) مما جعله يبدع لوحات فنية جميلة.. وقد حصلت هذه السلسلة على جائزة بولونيا فى أدب الطفل وجوائز أخرى.

ثم التقينا مرة أخرى فى سلسلة أخرى بعنوان (يحكى أن) وهى قصص من التراث العربي بصياغة شعرية نشرتها دار نهضة مصر.

وكان مصطفى حسين طويل القامة خفيف الظل.. ينعكس ذلك على أعماله الفنية التى تخصص فيها خاصة فن (البورتريه).. ولم يترك مصطفى قامة أدبية أو فكرية دون أن يرسم لها لوحة تعبر عن هذه الشخصية.. وتشعر المشاهد بأن الفنان تسلل إلى عمق هذه الشخصية وعبر عنها.

من هذه الشخصيات أيضا الشاعر عبد الرحمن الأبنودي والذى تعرفت عليه فى عام ١٩٦٨.. حين زارني فى مكتبة دار القلم.. وكنا نوزع اسطوانة للمطربة نجاة الصغيرة (مسير الشمس من تاني) تأليف الأبنودي.. وكم كان سعيداً حينما استمع إليها معي.. ثم توالت لقاءاتنا فى لجنة الشعر بالمجلس الأعلى للثقافة.. وكذا فى لجان النصوص فى صوت القاهرة.. وكان الأبنودي صاحب رأى صائب فى النصوص المقدمة.. لا يعرف المجاملة وإنما معياره الوحيد هو جودة النص.

أما أمل دنقل.. فنحن ننتمي إلى جيل واحد.. وأتذكر أنني أصدرت ديواني الأول (الطريق والقلب الحائر) عام ١٩٦٧.. وبدأت الأخبار فى الصحف تنوه عنه.. وذات ليلة دخلت استراحة دار الأدباء بشارع القصر العيني ورأيت أمل دنقل يجلس مع أصدقاء له.. ويبدو أنه سأل: من هذا الذى دخل علينا..

فوجدته يبادرني: أنت صاحب ديوان (الطريق والقلب الحائر).. قلت: نعم.

وصارت بيننا علاقة محترمة طوال الحياة.. حتى إنه جاءني

ليستشيرنى فى زواجه بالصديقة عبلة الرويني.. كما جاءتني هى الأخرى لتسألني فى الموضوع نفسه وظللنا أصدقاء.. وكتبت عنه مرثية حين رحل عن عالمنا.

أما الناقد د. عز الدين إسماعيل فقد كتب أول ما كتب عن ديواني الثالث (البحث عن الدائرة المجهولة) الصادر فى أوائل ١٩٧٣ والذى أفلت من قبضة الرقابة بمعجزة.

أهديت الديوان للدكتور عز.. فكتب دراسة مستفيضة فى روز اليوسف حيث أشاد بالديوان.. ثم توالت دراساته عن أعمالي الشعرية.. سواء بالمناقشة أو بالكتابة والنشر.

أما د. حسن ظاظا فقد كان يناقش هذا الديوان أيضا فى قصر الحرية بالإسكندرية.. فى فترة عصيبة تتميز بالقلق والتوجس والرقابة الصارمة.. ثم سألني أمام الحضور:

كيف مرّ هذا الديوان على كلاب الحراسة؟

وتمنيت يومها ألا يكون أحد من الأمن حاضرا فى هذه الندوة.. وفعلا مر الموقف على خير..

أما الشخصيات العربية والعالمية فهي كثيرة منها عالميا: الكاتب الروسي فاسكو بوبا.. والشاعر الأيرلندي ديزمونت جريدي والشاعر الزنجي تيد جونز.. وغيرهم مما نلتقيهم ونوثق معهم العلاقات الأدبية فى المؤتمرات العالمية.

أما الشخصيات العربية فهي كثيرة منها: عبد الوهاب البياتي - محمد الفيتوري - محمود درويش - سميح القاسم - بلند الحيدري - حسن القرشي - جورج جرداق - نازك الملائكة - فدوي طوقان - وغيرهم كثير.

وربما لا تسعفني الذاكرة لأذكر مزيداً من الأسماء والشخصيات التى مثلت محطات كثيرة فى حياتي.

لكنني أود أن أطمئن القارئ الكريم أنني أدين بالكثير من التقدير لكثير من الشخصيات التى لعبت دورًا فى حياتي الخاصة.. أو فى مسيرتي الإبداعية.. والتى لا تقع تحت الحصر.

وفى النهاية..

لابد أن أذكر تلك الشخصية التى لولا صبرها وتحملها لما حققت شيئا فى حياتي: الست فردوس المعلم.. أمى.

تلك التى غاب ورحل عنها زوجها (أبى) وترك لها أربعة أبناء صغار كنت أكبرهم ولدى تسع سنين.. وصرت حتما عائلهم بعد ذلك.

أبت هذه السيدة - برغم صغر سنها - أن تتزوج وتشرد أبناءها.. كما رفضت أن يلتحق أولادها بمهن أخرى كانت متاحة فى بلدنا (بيلا) وصممت على أن نلتحق جميعاً بالتعليم.

وصبرت.. وعانت الكثير.. وبمساعدة من أخيها - محمد المعلم - حتى حصلت أنا على شهادة الثانوية العامة (١٩٥٩) والتحقت بالعمل فى دار القلم..

وهاأنذا أنتقل وتنتقل معى الأسرة إلى القاهرة.. وألحق إخوتي بالمدارس لاستكمال تعليمهم.

كان علىّ أن أقوم بدور العائل لهذه الأسرة.. وأحسب أني وفيت هذه الأم العظيمة حقها من الرعاية بقدر طاقتي ومحبتي.. فرحلت وهى راضية عني وعن إخوتي.

لهذا فهي تستحق التقدير والذكر الطيب بما أعطت وصبرت.. وأضافت إلى شخصيتي ما أعتز به من صفات إنسانية طيبة.

وأخيراً...

فتلك صفحات ولقطات ومواقف وشخصيات عشت معها وعاشت فيّ.. وشكلت جوانب كثيرة من شخصيتي وقيمي ومسيرتي الإبداعية التى أعتز بها ولا تزال مستمرة حتى اليوم عبر ما يربو على مائة عنوان لكتب تشمل الشعر والمسرح الشعري والدراسات الأدبية والأطفال.

ولا أملك أخيراً.. إلا أن أحمد الله الذى وفقني وجعلني فى سلام ورضا مع نفسي فى أي موقع شغلته.. وأي إبداع أصدرته.

obeikan.com